

1-نشأة الدرس الصوتي عند العرب: ارتبط البحث اللغوي عند العرب القدامى بظاهرة اللحن التي تفتشت على الألسنة بعد الفتوحات الإسلامية، إذ كان لها الدور الأكبر في دخول اللغة العربية ١ب الوصف والتحليل. فقد كانت الدافع الأساس الذي ٢أر اللغويين القدامى للاهتمام بلغتهم، ٣فيا بذلك وجودها في العصر الجاهلي1، وهذا ما يؤكد ما نقله السيوطي عن أبي الطيب اللغوي، من " أن اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعربين من عهد النبي صلى الله عليه وسلم"2، غير أن الظاهرة ٤تت تشكل خطراً يهدد اللغة العربية، ويعكر صفاءها الذي ميزها في العصرين الجاهلي وصدر الإسلام مع اتساع رقعة الإسلام مع الفتوحات الإسلامية، يصف الزبيدي هذا الوضع قائلاً: " ولم تزل العرب تنطق على سجيته في صدر إسلامها وماضي جاهليتها، حتى أظهر الله الإسلام على سائر الأدن، ففشى الفساد في اللغة العربية"3. إذ إن اختلاط العرب بغيرهم من الأمم، ودخول الأجناس المختلفة إلى الدين الإسلامي أدى من جهة إلى احتكاك العربي بغير العربي والتأثر بلغته، فكثرت ٥ال لحن وفسدت الألسنة حتى طال القرآن الكريم، وعليه كان من الواجب البحث عن حل تحفظ به سلامة اللغة. ولعل الصواب عند من ذهب إلى أن نشأة علم يحفظ العربية من الخطأ ويوقف سيل اللحن الذي ٦ت يهددها كان نتيجة مجموعة من الحوادث لا حادثة واحدة متفردة، " فغير مقبول في النظر أن ينهض العلماء ويستفرغوا مجهوداً جباراً يورقون فيه عيوماً ولا يطبقون جفواً٧م الليالي الطويلة لتأسيس فن خطير خالد الأثر في اللغة العربية وأبناء العروبة من جراء حادثة فردية كان يكفي في درئها إصلاحها وكفى"4، واختلفت الروايات ٨ت فيمن كان أول من فكّر في حل لهذا اللحن الذي بدأ يخرق الألسنة ويفسد اللغة، كما اختلفت في قُصة اللحن المسموع الذي ٩أر هذا الدافع، أبو الأسود، وكان لا يخرج شيئاً مما أخذه عن علي كرم الله وجهه، حتى بعث إليه ز١٠د: أن اعمل شيئاً يكون للناس إماماً ويعرف به كتاب الله فاستغفاه من ذلك حتى سمع أبو الأسود قاراً ١١يقرأ إن الله بريء من المشركين ورسوله ١٢لكسر"5. حينها أدرك خطورة اللحن وما آل إليه أمر المسلمين فقبل أمر ز١٣د ١٤ن عاد إليه وطلب منه كاتباً يقوم بما يطلبه منه، فقال: " إذا رأيته فتحت فمي ١٥لحرف فأنقط نقطة فوقه على أعلاه، وإن كسرت فاجعل النقطة من تحت الحرف"6. وإن صحت هذه الرواية فإن أول خطوة في الدراسات اللغوية، وأول ملاحظة فيها كانت صوتية بناها الدؤلي على الملاحظة المباشرة لآلية نطق هذا النوع من الأصوات، ومع هذا الاهتمام المبكر ١٦لذا الجانب، فنجدها في مقدمات المعاجم أو ثنائها، 70 وقد عمد اللغويون في تناولهم للمادة الصوتية إلى تحديد مخارج الأصوات وصفاف١٧ا، مع ما توصل إليه علم الأصوات الحديث. محاولة منا لتقييم جهودهم في ضوء الدراسات الصوتية الحديثة. 2-بين الصوت والحرف: إن النظر في المادة الصوتية الموجودة في تراثنا اللغوي، يكشف لنا عن استعمال القدامى لمفردة "الحرف"، فقد استعملها الخليل في تحديده لمخارج الأصوات7، وغيره من النحويين9. إذ اتفق استعمالهم لهذه المفردة "الحرف" بمعنى الصوت اللغوي، أما مفردة "الصوت"، وفي الأصوات التي تصاغ منها الألحان، وكذا في شرحه لمعنى الجهر. وتحتل هذه المفردة حيزاً من الاستعمال في وصف النظام الصوتي للعربية عند سيبويه ومن تبعه من النحويين، وذلك أثناء شرحهم لصفات الأصوات، حيث جاءت مرادفة للحرف، فقد جاءت كذلك عند تحديدهم للغرض من الإدغام المتمثل في تقريب الصوت من الصوت كما حدّده قبلاً ١٨تّه تقريب الحرف من الحرف11، وكذلك الحروف تختلف12، واستعملوها للدلالة على الأصوات المهموسة التي تخرج من الفم، في مقابل أصوات الصدر المجهورة13. والرخو هو الذي يجري فيه14. وفي الرخاوة ترك لمنفذ يمر من خلاله الهواء، هذا عن استعمال المفردة عند القدامى. أما عند المحدثين فقد كان مفهوم المفردة واضح الدلالة دقيق المعنى، والصوت اللغوي عبارة عن ذبذبات صوتية ١٩تجة عن عرقلة مجرى الهواء القادم من الرئتين، "فعندما يُصدر الجهاز العصبي أوامره بنطق صوت معين، فإن هذا الصوت ينتقل على هيئة نبضات كهربية، وتتأهب هذه تبعاً لذلك لاتخاذ أوضاع معينة"15، تحددها طبيعة الصوت المراد إنتاجه، اللغوي، وعليه إذا أرد٢٠ا أن نميز الصوت اللغوي في هذه العملية لا بد وأن نحّد أن هذا الصوت ينتمي لنظام لغة ما. وقد رأينا أن القدامى استعملوا مفردة "الحرف" ٢١لذا المعنى، أما الحرف في الدراسات اللسانية العربية الحديثة فقد استعمل للدلالة على الرمز الكتابي16. وعليه فالخلاف بين القدامى والمحدثين في هذه النقطة لا يعدو أن يكون خلافاً في المصطلح، لا يؤثر في وصف الأصوات اللغوية، لأن كلا من مفردة: "الحرف" عند القدامى، ومفردة "الصوت" عند المحدثين قد استقرّ معناه بين مستعمليها، 3-مخارج الأصوات: 1. أو بتقارب عضوين من أعضاء النطق فيحدث بذلك تضيق لمجرى الهواء. وفي الثانية عن احتكاك الهواء ٢٢لعضوين المتقاربين. فالمخرج ٢٣لذا هو النقطة التي يحدث فيها الصوت اللغوي، وقد يكون المخرج نقطة تشكل أكثر من صوت يكون تمايزها ٢٤لصفة. 17 و٢٥لذا المفهوم استعملت لفظة "المخرج" في الدرس الصوتي القديم، وكانت مرادفة لـ "المبدأ"، كما استعملها أيضاً بمعنى "الحيز" والحيز عنده منطقة أوسع من المخرج، فهو مكان لحدوث أكثر من صوت18. وتبّين سياقات المفردة عند سيبويه، يفضي بنا إلى المفهوم الحديث نفسه، ويغنيانا ابن يعيش عن

البحث عن مفهوم المفردة عنده، 2. - إذ يرجح أنه أول مؤلف في تناول هذا الجانب-، ولا يخرج بحثنا عن هذا العرف إذ نتبين في الآتي مخارج الحروف عند الفراهيدي. عَدَّ الخليل بن أحمد الفراهيدي حروف العربية بتسعة وعشرين حرفاً، قَسَمَهَا بحسب تمايزها في المخرج إلى فئتين، وهي الحروف التي لها مخارج محددة، "إنما هي هاوية في الهواء، وقد كانت عناصر هذه المجموعة أربعة حروف ٤٠ ٤١ وأخرى ثلاث ٤٢ ٤٣ ٤٤ خراج الهمزة منها، فقد جاء في المقدمة أنه كثيراً ما كان يقول: "الألف اللينة والواو والياء هوائية أي ٤٥ في الهواء 21، ولعل وصف هذه المجموعة ٤٦ لهوائية ونسبتها للجوف، كان نتيجة إحساس الخليل بخلو مجرى الهواء من الاعتراض، سواء كان جزئياً أو كلياً عند إحداث هذه الحروف، وهي في مجملها - عدا الهمزة - صوائت طويلة، عرفت الدراسات الصوتية الحديثة ٤٧ ٤٨ "هواء مجهور" فلا مخرج لها. يحملنا هذا التقسيم إلى ذكر تقسيم المحدثين للأصوات اللغوية، وإن اختلفت معاييرهم في تحديد عناصر كل مجموعة 22، إلا أننا نجد من جملة هذه المعايير اعتمادهم آلية النطق فارقاً تمييزاً ٤٩ بين القسمين، فما وجد الهواء المزفور عند النطق ٥٠ عائقاً يحول دون حرية مروره سواء كان العائق كلياً أو جزئياً فهي أصوات صامتة، وما لم يوجد هذا الهواء عائقاً يحول دون حرية مروره فهي أصوات صائتة، والضمة الطويلة. وقد اقتصر حديث الخليل على الطويلة منها دون إشارة إلى القصيرة. - الحروف الشفوية: الفاء والباء والميم. والملاحظ أن الخليل لم يفصل في كيفية حدوث كل حرف على حدة، وإنما كان يكفي أن تجتمع الحروف في منطقة حدوثها فينسبها إلى موضع واحد. إلا ٥١ لا تكون من ذات النقطة، فكان يصفها ٥٢ لقول ٥٣ ن بعضها أرفع من بعض 24، وبما أن وصفه امتاز ٥٤ لعمومية، وبلغ من دقته في زمانه أن اكتفى اللغويون بتكراره، 26 حدّد سيبويه عدد مخارج حروف العربية - بمصطلحهم - في ستة عشر مخرجاً : ومنه مخرج الغين والحاء. ومعروف في الدراسات الصوتية الحديثة أن أول المخارج 27 الحنجرية؛ وعليه فمجموعة أقصى الحلق عند القدامى هي منطقة الحنجرية عند المحدثين، ٥٥ اعتبار أن أصوات المنطقتين ٥٦ بين القدامى والمحدثين، غير أن القدامى أخطأوا في إضافة الألف لهذا المخرج، وهو ليس من أصوات ٥٧ إذ هو صائت طويل، وقد أثبتت الدراسات الصوتية الحديثة أن الصوائت عبارة عن هواء مجهور، ورأى النعيمي في هذه الإضافة "إشارة واضحة إلى إحساسهم ٥٨ أثر الوترين الصوتيين 28. في حين رفض بعض من المحدثين معرفة القدامى لهذا العضو، 29، وما يؤخذ على هذا الحكم هو اعتماد التسمية برها ٥٩ للاستدلال على عدم معرفة القدامى ٦٠ إذا العضو النطقي، فالتسمية في أساسها مجرد اتفاق قوم على تسمية مسمى ٦١ سم ما، ولا ضير إن كان اتفاقهم على تسمية تلك المنطقة ٦٢ أقصى الحلق. ولعل ما يرجح كفة إحساس القدامى ٦٣ أثر الوترين الصوتيين - وإن لم يتمكنوا من تحديدهما لغياب الآلات المساعدة على ذلك في زمانهم -، أن الاضطراب والخطأ كان عند الخليل في الهمزة التي تعتبر حنجرية، إذ أدخلها مع الصوائت الطويلة التي تمتاز بجهرها، 73 أما صوت ٦٤ الحاء والعين فهما بعد مخرج أقصى الحلق في منطقة سماها القدامى بوسط الحلق، فلنطق الحاء "يضيق المجرى الهوائي في الفراغ الحلق، بحيث يحدث مرور الهواء احتكاكاً ولا تتذبذب الأو ٦٥ ر الصوتية حال النطق به" 30. أما العين فتختلف عن الحاء بحدوث ذبذبة للأو ٦٦ ر الصوتية عند النطق ٦٧ ا، فهي "صوت حلقي احتكاكي مجهور" 31. وجعل منه مخرج الغين والحاء، يليها خروجاً القاف، وقد اختلف المحدثون عن القدامى في هذا ٦٨ ن جعلوا القاف قبل هذين الصوتين (الحاء والغين) خروجاً، إذ تجرّ دُ ث بحبس للهواء ٦٩ ن يرفع أقصى اللسان حتى يلتقي ٧٠ دن الحلق بما في ذلك اللهاة 33، حتى أن كمال بشر رأى ٧١ أنه كان ينبغي منهم عدها مع أصوات الحلق، لاتساع هذه المنطقة عندهم حتى أقصى الحنك، ومع هذا راح يبحث عن تبرير لوضعهم لها بعد الحاء والغين، إذ افترض أن يكون نطق القاف في زمانهم ٧٢ م غير نطقه في زماننا، الغين والحاء أو من موقع ٧٣ ل لهما. وهي فرضية إبراهيم أنيس أيضاً، الذي أقر أن تطوّر القاف في اللهجات العربية الحديثة، لا يسمح إطلاقاً ٧٤ لتأكيد كيف كان ينطق ٧٥ ا بين الفصحاء من عرب الجزيرة في العصور الإسلامية الأولى 35. وكان تحديد مخرج الكاف عند سيبويه انطلاقاً من مخرج القاف، فبين أن الكاف تحدث أسفل من موضع القاف، ٧٦ لتقاء أقصى اللسان والحنك الأعلى فتكون الكاف أقرب للغين والحاء من القاف، ولتقارب الأصوات الثلاثة مخرجاً اتفق أن جمعها بعض المحدثين في مخرج واحد 36. ثم ٧٧ تي ثلاثة أصوات نسبها القدامى إلى موضع نطقي واحد هو وسط الفم، وقد وافق هذا التحديد تحديد المحدثين حتى أقرّوا أن "هذا التقدير يلي هذه المجموعة من الأصوات مخرجاً صوت الضاد، إذ حدّد سيبويه على أنه من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس، وزاد ابن جني على هذا التحديد توضيحه ٧٨ ن الناطق قد يجعلها من أي الجانبين شاء من الأيمن أو الأيسر 38، ويبين لنا هذا القول أن الضاد صوت جانبي شأ ٧٩ ا في هذا شأن اللام. واتسم وصفهم لمخرج اللام بدقة شديدة، إذ هو على ما ذكره ابن جني "من حافة اللسان من أد ٨٠ ها إلى منتهى طرف اللسان، من بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى، مما فوق الضاحك والنايب والرعية والثنية" 40. 37 سليمان ثلاثها منحيزواحدوا سعنسبياً". أما مخرج النون فهو عند سيبويه "من حافة اللسان من أد ٨١ ها إلى منتهى طرف اللسان ما

بينها وبين ما يليها من الحنك الأعلى وما فوق الثنا^{٤٢}، فالنون تحدث بحبس الهواء بوضع طرف اللسان على أصول الثنا^{٤٣} العليا لذا كان وصف المحدثين لها ^{٤٤}ا "صوت أسناني لثوي"42. وعلى مخرج النون اعتمد في تحديد كيفية نطق الرء، إذ جعله من مخرج النون غير أنه أدخل في ظهر اللسان قليلا لانحرافه إلى اللام، إذ يحدث هذا الصوت بتكرار ضر^{٤٥}ت اللسان على اللثة، والدال، - ومما بين طرف اللسان وفوق الثنا^{٤٦} مخرج الزاي، والسين والصاد. - ومما بين طرف اللسان وأطراف الثنا^{٤٧} مخرج الظاء والذال والطاء. يختلف عنها الدال بجهره، والطاء^{٤٨} طباقها، "فالمضاد الحديثة صوت شديد مجهور يتحرك معه الوتران الصوتيان ثم ينحبس الهواء عند التقاء طرف اللسان ^{٤٩}صول الثنا^{٥٠} العليا فإذا انفصل اللسان عن أصول الثنا^{٥١} سمعنا صو^{٥٢} انفجار^{٥٣} هو المضاد"45، "فالمضاد صامت مجهور سني مطبق انفجاري"46. في حين تحدث الطائفة الثانية من الأصوات بترك منفذ ضيق يمر من خلاله الهواء بين اللسان والثنا^{٥٤}، إذ عند النطق^{٥٥} لسين مثلا "يعتمد طرف اللسان على اللثة بينما يُرفع وسط اللسان نحو الحنك الأعلى، ويكون الفراغ بين طرف اللسان وبين اللثة قليلا جدا"47، فالزاي بعكس السين مجهور، والصاد يختلف عنه (السين) في إطباقه. وهناك من وصفها^{٥٦} لأسنانية اللثوية مدرجا المجموعة الأولى من الأصوات معها، عناصرها ثلاثة أصوات هي الظاء والذال والطاء، وهي عندهم أسنانية لأن مخرجها الأسنان، ثم يكون التمييز بينها^{٥٧} لجهر والهمس أو الإطباق فتمثل الذال النظير المجهور للطاء، وتتميز الظاء عن الذال فيكو^{٥٨}ا مطبقة. وح^{٥٩}د سبويه مخرج الفاء^{٦٠} "من^{٦١} طن الشفة ال^{٦٢} سفلى وأطراف الثنا^{٦٣} العللى". والميم، والواو، وأمر هذه الثلاثة واضح لأ^{٦٤}ا تحدث جميعها من بين الشفتين. 75 بعد هذا التفصيل في مخارج الأصوات انتقل القدامى في خطوة موائية لذكر صفا^{٦٥}ا، وهذا ينم عن وعي صوتي كبير، فبالصفة تتمايز الأصوات المشتركة المخرج، ثم إن طريقة النطق وطريقة مرور الهواء في الجهاز الصوتي عند إنتاج الأصوات هي من تحدّد هذه الصفات، وتلك الميزة لصوت واحد، وسنتبين الآن التحديدات والتعريفات لبعض من هذه الصفات التي خ^{٦٦} صوا^{٦٧}ا الأصوات، مركزين على ما جاء فيكتاب سبويه. 1.4- الجهر والهمس: هي أولى الصفات المذكورة عند سبويه، فذلك عشرة أحرف^{٦٨}51. ثم راح يقدم تعريفا للثنائيتين، ينقضي الاعتماد [عليه] ويجري الصوت. وأما المهموس فحرف أضعف الاعتماد في موضعه حتى جرى النفس^{٦٩}52 "معه"، وهذا ما عكسته محاولات واجتهادات المحدثين في تفسير وشرح هذا التعريف^{٧٠}53، فقد خلص بعضهم من شرحه إلى أن القدامى وإن لم يذكروا الوترين الصوتيين، في حين أنكر هذا التوجه عند البعض الآخر^{٧١} فين بذلك أن يكون مفهوم الجهر والهمس واحدا بين المدرسين القديم والحديث^{٧٢}55، والحق أن هذه مجرد افتراضات لا يمكن الحكم على صحتها علميا لأن الأمر يتعلق^{٧٣} لمنطوق، والمنطوق يتلاشى ويزول بمجرد حدوثه، فما^{٧٤} لك إذا كان هذا المنطوق حادث من آلاف السنين، ولكن مع هذا يبقى^{٧٥}ا الدراسة والافتراض مفتوحا لأ^{٧٦}ا نستكشف هذا المنطوق من خلال الأوصاف التي وصلتنا في كتب النحويين، وتبقى إمكانية استجلاء دقة أكبر كلما توسع^{٧٧}ا ب الوصف. إلا أننا لا نعدم وجود بعض الإضافات والإشارات عند غيره من اللغويين من شأ^{٧٨}ا أن ترجع من السابق فرضية على الأخرى، والمهموس^{٧٩} لضعف والخفاء، ووصف المهموس^{٨٠} لإخفاء، جاعلا رفع الصوت نتيجة لإشباع الاعتماد، والهمس نتيجة لضعفه، وهي ذ^{٨١}ا إضافة ابن يعيش^{٨٢}ا ن الهمس هو الصوت الخفي^{٨٣}57، والثابت علميا الآن أن الأصوات المجهورة التي يحدث عند نطقهاذبذبة للوترين الصوتيين تكون أكثر وضوحا في السمع من الأصوات التي لا تحدث معها الذبذبة، خفائه الذي خصوا به الأصوات المهموسة. أما أصوات المجموعتين فقد كان الخلاف بين تصنيف القدامى والمحدثين لها في ثلاثة أصوات: 76 - الهمزة فهي مجهورة عند القدامى، أما عند المحدثين فمنهم من قال^{٨٤}ا مهموسة^{٨٥}58، ومنهم من ذهب إلى^{٨٦}ا لا^{٨٧}ا لمهموسة ولا المجهورة^{٨٨}59، لأن حدوثها يكون على مستوى الوترين الصوتيين الذين يتحكمان بجهر الصوت وهمسه، ولع^{٨٩}ا حدوثها^{٩٠}ا ما هو الذي أربك الخليل في تحديد موضعها، إذ كان يضعها مع الحروف الجوفية^{٩١}رة ويخرجها منها أخرى. - والقاف والطاء مجهور^{٩٢}ا عند القدامى مهموستان عند المحدثين، وقد برر المحدثون هذا التقدير من القدامى بكون القاف والطاء في النطق القديم غيرهما في النطق الحديث، حتى أن الوصف الذي قدم لهما لا يسمح بمعرفة كيف كان نطقهما على وجه التحديد^{٩٣}60. إن هذه الإضافات التي جاءت في تعاريف القدامى للمجهور والمهموس من جهة، قد يسمح لنا بترجيح الرأي القائل^{٩٤}ا ن اللغويين القدامى قد أحسوا فعلا^{٩٥}ا أثر الوترين الصوتيين في هذه العملية النطقية، خاصة وأن هذين العضوين من الأعضاء الداخلة التي لا ترى^{٩٦}ا لعين المجردة، والتي تمكنت الصوتيات الحديثة من رؤية عملهما وتحديد دورهما في الأصوات^{٩٧}ا لاستعانة^{٩٨}ا لآلات الحديثة. 2. 4- الشدة والرخاوة وما بينهما: 61 عرّف سبويه الشد^{٩٩}ا "الحرف الذي يمنع الصوت أن يجري فيه"، والباء^{١٠٠}ا في ألفاظ: أجدت طبقك، أجدك قطبت، أجد قط بكت. يقابل صفة الشدة صفة الرخو، والرخو هو ذلك الصوت الذي يمر الهواء من منفذ ضيق عند النطق به محتكا بجدران الجهاز الصوتي في نقطة حدوثه، والطاء، والذال، والفاء. ولا زال تمييز الأصوات في اللغة العربية على هذا الأساس

قائما عند علماء الأصوات المحدثين، وإن اختلفوا عن القدامى في المصطلحات المعبرة عن القسمين 64، وفيما يخص أصوات المجموعتين فإن الخلاف بينهم كان في صوت الضاد الذي عده المحدثون شديدا بخلاف القدامى الذين جعلوه رخوا، ومن المنطقي أن يحدث الخلاف في أمره بما أن المحدثين قد أقرّوا أن الضاد [ʔ] لنطق الحديث غيرها الضاد المنطوقة قديما 65. وأما صوت الجيم فهي عند القدامى شديدة، وعند المحدثين فإن "الجيم العربية الفصيحة يختلط صوتها [ʔ] الانفجاري بنوع من الحفيف يقلل شدتها" 66. 67 68 وكذا في صوت العين الذي عده المحدثون صوتا [ʔ] احتكاكيا، في حين اعتبره القدامى بينا بين الرخو والشديد، فباستعمال المجوف الحلقي تمكن من مشاهدة تناوب الشدة والرخاوة [ʔ] نقباض وسط الحلق وانبساطه على التوالي 77 كأنه اهتزاز، تبين له أن "الشبح أو الطيف الفيزيائي لصوت العين شديد الشبه [ʔ] لطيف الخاص [ʔ] أصوات المدات وأبعضها أصوات الحركات. ومصدر هذه الأصوات هو اهتزاز للأوتار الصوتية، واهتزازها عبارة عن انقباض وانبساط سريعين جدا لهذه العضلات الحنجرية" 69. إذ عمدوا إلى تحديد مجموعة من الأصوات يحدث في نطقها أن تتناوب الشدة والرخاوة مستبدلين على هذا بشرح آلية نطقها، وهذه الأصوات زائدة عن العين "اللام، النون والميم، الراء" 71 والملاحظ أن القدامى لم يخصوها بتسمية معينة حتى أن سيبويه عبّر فقط في وصفه للعين بقوله "بين الرخوة والشديدة" أما بقية الأصوات فنتبين بينيتها من خلال وصفه لآلية نطقها. فجمعوها وأطلقوا عليها مصطلح "الأصوات البينية" لكن معيار البينية عندهم كان مغايرا له عند سيبويه، إذ أن كمال بشرح دد البينية على [ʔ] توسط هذه الأصوات مجموعتي الصوامت والصوائت، وذلك لسببين 72: الأول كوا [ʔ] صامتة وظيفيا، والثاني قر [ʔ] في الأداء النطقي من الصوائت حتى أطلق عليها وصف "أشباه الحركات". أما معياره الأول فلا خلاف فيه، وأما الثاني والمتعلق [ʔ] الجانب الأدائي النطقي فقد اختاره من جهة أن مجرى الهواء عند النطق [ʔ] يكون أشد اتساعا مما هو عليه في بقية الصوامت مما يكسبها وضوحا سمعيا أكبر من غيرها ويقر [ʔ] إلى الصوائت، ولكننا نجد في منظومة الأصوات العربية مجموعة أخرى يطلق عليها كمال بشرح اسم "أنصاف الحركات" يمثلها صوت [ʔ] الياء والواو، وهي أقرب نطقيا إلى الصوائت من هذه المجموعة التي أطلق عليها كمال بشرح تسمية البينية، وهو بنفسه يقر [ʔ] لشبه الكبير بينها وبين الحركات، ففي معرض حديثه عنها يقول: "وهذه الأصوات أقرب إلى الحركات من تلك الأصوات التي سميناها سابقا [ʔ] شباه الحركات" 73. ولا ضرر من اعتماد معيار القدامى في تحديد البينية على أساس التوسط بين الشدة والرخاوة، لأن تناوب الصفتين عند النطق [ʔ] أصوات هذه المجموعة أمر واضح. والضاد، والطاء، والظاء، مبينا معنى الإطباق من خلال عرضه للوضعية التي يتخذها اللسان عند النطق [ʔ] ذه الأصوات قائلا: "وهذه الحروف الأربعة إذا وضعت لسانك في مواضعهن انطبق لسانك من مواضعهن إلى ما حاذى الحنك الأعلى من اللسان ترفعه إلى الحنك، فإذا وضعت لسانك فالصوت محصور فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحروف" 74، فعند النطق [ʔ] ذه الأصوات يرتفع مؤخر اللسان إلى الحنك الأعلى ويتواصل النطق في مخرج الحرف 75. وتبين التكنولوجيا الحديثة أن هناك فضاء بين اللسان والحنك يحصل [ʔ] لإطباق 76. ويقابل الإطباق الانفتاح، والمنفتحة كل الأصوات عدا المطبقة، "لأنك لا تطبق لشيء منهن لسانك، ترفعه إلى الحنك الأعلى" 77، 78 4-4- الاستعلاء والاستفال: وقد أقر المحدثون بدقة هذا التحديد، إذ ذكر كمال بشرح أن مصطلح "الاستعلاء" مصطلح سليم مقبول، الصاد والضاد والطاء والظاء) وكذلك [ʔ] النسبة للقاف والغين والحاء عند تفخيمهما بشروطه ومواقعه المحددة 79. الاستفال عنده ألا يرتفع اللسان عند النطق [ʔ] لصوت فيحمل [ʔ] إذا الاستفال معنى الانفتاح نفسه في تسفل اللسان إلى ولا يمكن أن نترك الحديث عن الثنائيتين (إطباق، انفتاح) (و) استعلاء، استفال)، في مجالهما المفاهيمي عند المحدثين، وهو مصطلح التفخيم الذي وصف به المحدثون أصوات الإطباق [ʔ] [ʔ] أصوات كاملة لأن التفخيم في الأولى جزء من بنيتها تكتسبه في نطقها العادي، شروط لحدوثه. قراءة القرآن والأشعار [ʔ]، يعني بلغة أهل الحجاز، ذكر قبلها "الألف التي تمال إمالة شديدة" 81، 84-5- المنحرف: جعل سيبويه هذه الصفة خاصة بصوت اللام، إذ قال: "ومنها حرف شديد جرى فيه الصوت لانحراف يشير هذا التعريف إلى أن الهواء يمر عند لانحراف مجرى الهواء مارا من جنبي اللسان، 6-4- المكرر: صفة خ ص [ʔ] سيبويه صوت الراء دون غيره من الأصوات، وهو عنده "حرف شديد يجري فيه الصوت لتكريره" 83، فالراء العربية تنتج عن الضر [ʔ] الت السريعة المتكررة لطرف اللسان على اللثة. 7-4- الغنة: ورد لفظ الغنة عند سيبويه 84 في تحديده للصفات، وخ ص [ʔ] صوتي النون والميم، يكتسبها هذان الصوتان لتدخل الأنف في إنتاجهما، إذ أن الهواء ينفذ من خلاله عند نطقهما. كشف لنا النظر في مخارج الأصوات وصفا [ʔ] عند القدامى، ومقارنتها بما جاء به الدرس الصوتي الحديث، ما توصل إليه القدامى في كثير من الأحيان في وصفهم للنظام الصوتي للغة العربية، الأصوات أو بتحديد صفا [ʔ]، على الرغم من اعتمادهم في هذه المعالجة على رصف الحس ودقة الملاحظة. ونقاط خلاف بينه وبين الدرس الحديث من جهة أخرى كخلافهم وهذا أمر طبيعي لأن التعامل في هذا المستوى مع المنطوق، كما أن

زما؟م غير زماننا والوسائل غيرها،